المصادر الأمريكية وتاريخ الجزائر الحديث ـ دراسة ببليوغرافية

منصور بو خمسين*

* حصل على دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة كاليفورنيا بيركلي ـ عام ١٩٨٣ م .
يعمل مدرساً لتاريخ أوروبا الحديث بقسم التاريخ ـ جامعة الكويت .

الملخص

اعتمد دارسو تاريخ الجزائر الحديث في بحوثهم ـ حتى فترة قريبة جدا ـ اعتمادا شبه تام على المصادر والمراجع الفرنسية . ولكن المصادر الفرنسية لا تعطى للباحث في العديد من القضايا الهامة لتاريخ الجزائر إلا صورة ناقصة ومشوهة . ولقد أدرك هذه الناحية العديد من المؤرخين الذين حاولوا سد هذا النقص باستخدامهم لمصادر غير فرنسية كالمصادر العثمانية أو الإنجليزية أو الإسبانية .

وهذا البحث محاولة لتعريف الباحثين على مصدر آخر لتاريخ الجزائر هو الوثائق الأمريكية . ففي مسح سريع لهذه الوثائق يتضح أنها مصدر غني بالمعلومات عن تاريخ الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر .

وتنقسم هذه المصادر في مجموعها إلى ثلاثة أقسام :

(١) المصادر الرسمية : وتشتمل على السجلات والوثائق الرسمية ، كمراسلات الدبلوماسيين الأمريكيين ، وإرساليات قناصل الولايات المتحدة في دول البحر المتوسط ، وسجلات القنصليات الأمريكية ، وكل المطبوعات الرسمية التي أصدرتها حكومة الولايات المتحدة عن دول المغرب أو علاقاتها بتلك الدول .

(٢) المصادر شبه الرسمية : وتضم المراسلات والأوراق الخاصة ببعض الشخصيات الأمريكية الهامة ، والتي كان لها بعض العلاقات بالمنطقة ، والأوراق والسجلات الخاصة ببعض الشركات والسفن التجارية الضالعة في تجارة المنطقة .

(٣) المصادر غير الرسمية : وتشتمل على كتب الرحلات التي ألفها أشخاص قاموا بزيارة المنطقة ، أو أقاموا بها لفترة ، والمذكرات الخاصة التي كتبها بعض من كانت لهم علاقة بالمنطقة ، والأوراق الخاصة ببعض التجار الذين كانوا ضالعين في تجارة المنطقة .

والبحث يستعرض كل قسم من هذه الأقسام ، ويعطي نبذة مختصرة عن قيمته العلمية بإعطاء أمثلة لما يحتويه كل منها من معلومات ، فضلا عن مناقشة بعض القضايا التي قد تساعد على زيادة فهم هذه المصادر وإيضاحها .

في سنة ١٨٣٥ كتب أحد ضباط الاحتلال الفرنسي في الجزائر ، يصف الخراب الذي حل بأجهزة الإدارة الجزائرية ، والتدمير الذي لحق بوثائق تلك الإدارة، بُعيد الاحتلال قائلا :

« (بعد الاحتلال) لم يتم اتخاذ أي إجراء لتنظيم طبيعة العلاقة بين فروع الخدمات العامة العائدة للنظام القديم والسلطة الجديدة ، ولم يتم إعطاء أي أمر للموظفين الوطنيين التابعين لحكومة الداي ، فلم يتم إعلامهم بإبقائهم بوظائفهم القديمة ، كما لم يتم تسريحهم . لقد تصرفنا كما لو لم يكن لهؤلاء أي وجود . ولما لم يجد هؤلاء من يراجعون ، قاموا بالتخلي عن وظائفهم دون أن يقوموا بتسليمها لأحد ، آخذين معهم ، أو تاركين للضياع ، كل السجلات والوثائق المهمة . وفي داخل القصبة[١] وتحت نظر المسيو دينيي ، شاهدت الجنود يشعلون غلاييهم بأوراق الحكومة الجزائرية التي انتشرت على الأرض هنا وهناك . حتى في أكثر العصور بربرية لم يتسبب احتلال ما ، بإحداث فوضى إدارية ، كتلك التي أحدثها احتلال الفرنسيين للجزائر» .

ولقد تجاوزت يد التدمير والضياع الوثائق الحكومية إلى الكتب والمصنفات العادية الخاصة بتلك الفترة ، كما حدث عندما أمر الجنرال كلوزيل ، قائد الاحتلال الفرنسي في أواخر سنة ١٨٣٠م ، بهدم سوق القيسارية : «حيث تباع الكتب التي هي روح المدينة» (الجزائري، ١٩٧٢ : ٢٤٤) .

والواقع أن ظروف الاحتلال الصعبة التي مرت على الجزائر لم تفلح في تدمير معظم الوثائق الخاصة بالفترة السابقة لسنة ١٨٣٠م فحسب[٢] ، بل تعدتها إلى الكثير من الوثائق الخاصة بالفترة اللاحقة لتلك السنة . فالاستيلاء على زمالة الأمير عبد القادر بن محيي الدين ، بالطريقة التي تم بها ، وما رافق وتبع ذلك الاستيلاء من فظائع واضطراب وأعمال سلب ونهب ، تسبب في ضياع المكتبة الكبيرة التي كان الأمير قد جمعها ، إلى جانب معظم أوراقه[٣] . كما لم يصلنا من وثائق حكومة أحمد باي في قسنطينة إلا أقل القليل[٤] . إذ أبيحت المدينة لنهب الجنود بعد اقتحامها ، وكان مما نهب مكتبات المدينة العامة والخاصة[٥] ، بل حتى الكتب التاريخية التي كتبها بعض الجزائريين ممن شهدوا الاحتلال لم تصلنا إلا منقوصة . فالأصل العربي لكتاب حمدان بن عثمان «المرآة» يعتبر الآن في عداد المفقود ، وإن بقيت النسخة الفرنسية المطبوعة[٦] ، كما أن جزءا كبيرا من التاريخ القيّم الذي كتبه أحمد الشريف الزهار ، لم يعثر له على أثر[٧] .

ولما كان الوضع كذلك ، صار من الطبيعي أن يتجه الباحثون إلى الجانب الآخر، لاستقاء معلوماتهم عن تاريخ الجزائر ، أي إلى الجانب الفرنسي ، وهو والحق يقال غني بالوثائق والمستندات . ولقد استغل الكتاب الفرنسيون هذه المصادر لتأليف سيل من الدراسات التاريخية التي غطت كافة جوانب تاريخ المغرب العربي .

ورغم أن معظم هذه الدراسات ، وخصوصا ما كتب منها في القرن الماضي وبداية هذا القرن ، قد أصبحت قليلة القيمة ، فإن عددا من تلك الدراسات لا تزال تعتبر من المراجع الرئيسية عن تاريخ

المغـرب العـربي[٨] ولكن ما يميـز القيّم وغير القيّم من هذه الدراسات هو الذاتية والتحيز الذي لا تخفيه الغلالة الرقيقة من الموضوعية العلمية التي حاول التستر بها بعض مؤلفي تلك الدراسات . وقد يكون الاعتـماد شبـه التـام في هذه الـدراسات على الوثائق الفرنسية هو الذي صبغ تلك الدراسات والبحوث بوجهـة نظـر فرنسيـة استعمارية . زاد منها ، كون الكثير ين ممن كتبوا عن ذلك التاريخ هم إما من طبقة «المعمرين» أو ممن ارتبطوا ارتباطا وثيقا بالمؤسسات الفرنسية الرسمية[٩] . وينطبق هذا القول مع بعض الاستثنـاءات البسيطـة[١٠] على كل ما كتب بالفـرنسيـة عن تاريـخ المغـرب حتى نهايـة الحـرب العالمية الثـانيـة . ولكن السـاحة لم تكن لهذا التيار التاريخي الفرنسي بدون منازع ، إذ كانت هنالك جماعة من المؤ رخين الجزائريين ، الذين أبقوا على التراث التاريخي الجزائري ، وأهمهم في هذا المجال : محمد بن عبد القادر (الجزائري : ١٩٠٣) والحفناوي (١٩٠٧ ـ ١٩٠٩) ، والمرحوم أحمد توفيق المدني الذي توفاه الله قبل مدة قصيرة بعد أن أدّى للعلم والأدب في الجزائر أجلّ الخدمات جزاه الله عن ذلك خير الجزاء (المدني : ١٩٣٧) .

ولقـد حاول هذا التيـار الـرد على بعض المغـالطـات التـاريخيـة الفـرنسيـة بصورة مباشرة أو غير مبـاشـرة . ولكن المـلاحـظ عن كتّـاب هذا التيار هو أنهم اضطروا كذلك لاستخدام الوثائق والكتابات الفرنسية عند الحديث عن تاريخ الفترة التي تلت ١٨٣٠ م .

ولكن التحـدي الحقيقي للتيـار التـاريخي الاستعماري لم يقو وينتشر ويصبح فعالا ، إلا مع بداية حرب التحرير الجزائرية . ففي تلك الفترة بدأت تظهر كتابات نوشي[١١] ، ولا كوست (Lacost and Nouschi : 1960) . ومصطفى الأشـرف[١٢] ، والسهلى (Sahli: 1965) ، التي فنـدت الكثـير من المـزاعم والافـتـراءات التي حاول المـؤ رخون الاستعماريون ترسيخها ، عن طبيعة الحكم الجزائري قبل الاحتـلال ، وعـلاقتـه بالـدولـة العثـمانيـة ، وعن القومية الجزائرية ، والعلاقات بين العرب والبر بر ، وطبيعة المقاومة الجزائرية للاحتلال ، وتطور الاستعمار الفرنسي . . الخ . ولكن على الرغم من التوجه الوطني لهذه الكتابات فإنها ظلت تدور في محور المصادر والمراجع الفرنسية .

ولم يستمـر ذلـك طويـلا ، إذ سرعـان ما بدأت العـديد من المحاولات للخروج من دائرة الضوء الفـرنسيـة إلى غيرهـا ، وذلـك باستنطاق مصادر أخرى غير فرنسية ، مهما كانت تلك المصادر : كتب رحـلات ، مذكـرات ، مراسـلات رسمية ، وثائق حكومية ، أوراقاً خاصة . . الخ . وقد تكون أولى المحـاولات المفيـدة في هذا المجـال هو الكتـاب الـذي كتبـه فشـر عن الحكـومة الجزائرية قبل الاحتلال (Fisher :1957) ، والذي ، وإن كان البعض لا يعطيه صفة الكتاب العلمي ، إلا أن ذلك لا ينقص كثيراً من قيمته كدراسة علمية ، أو كفتح جديد لمصدر لم يكن قد استغل من قبل إلا لماما[١٣] . وهو دور الـوثـائق والمكتبـات البـر يطـانيـة التي استغلهـا الكـاتب أحسن استغـلال . ولقد تبع فشر العديد من المـؤ رخـين الـذين أثبتت بحـوثهم في المصـادر غير الفرنسية ، وجود إمكانيات ضخمة لإلقاء المزيد من الضوء على تاريخ الجزائر وتوضيح العديد من قضاياه التاريخية .

وفي هذا المجال يمكن أن نذكر ، على سبيل المثال لا الحصر، أعمال ابو العيد دودو الذي اهتم

بالمصادر الألمانية (دودو : ١٩٧٤ ، ١٩٧٥) ، وعبد الجليل التميمي الذي استفاد فائدة جمة من الوثائق العثمانية[١٤] ، وسلفاتورو بونو الذي استخدم دور الوثائق الإيطالية لكتابة تاريخ القرصنة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي (Bono :1964) ، وقد يكون أهم الأعمال في هذا المجال كتاب أبو القاسم سعد الله عن تاريخ الجزائر الثقافي (سعد الله : ١٩٨١) ، الذي اعتمد فيه اعتمادا كبيراً على المصادر العربية . وعلى الرغم من كون طبيعة اهتمامات الكاتب الثقافية ، قد أملت عليه الاعتماد بصورة أساسية ، على مجموعة من المصادر الأدبية والدينية ، فإن هذه المصادر ـ التي لم تستغل من قبل إلا قليلا ـ سوف تعطي الباحث في جوانب التاريخ الاجتماعي ، للجزائر ، معينا لا ينضب من المعلومات .

والبحث الحالي يهدف إلى القاء الضوء على مصدر آخر من مصادر المعلومات المحتملة عن تاريخ الجزائر بصفة خاصة ، وتاريخ المغرب العربي بصورة عامة ، ألا وهو دور الوثائق والمكتبات الأمريكية . وهو مصدر غني يزخر بأنواع متعددة ومختلفة من الوثائق التي لم تستغل حتى الآن .

وتعود نسبة كبيرة من هذه الوثائق إلى فترة نهاية القرن الثامن عشر . وبداية القرن التاسع عشر ، وهذا مما يزيد من أهمية هذا المصدر ، لأن هذه الفترة شهدت نهاية حكومة الدايات في الجزائر وبداية الاستعمار الفرنسي . ويعود السبب في وفرة الوثائق الأمريكية عن المنطقة في هذه الفترة الزمنية إلى كونها الفترة التي تلت انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية ، وبانتهائها حصلت الولايات المتحدة على استقلالها السياسي والاقتصادي من بريطانيا .

ولقد ترتب على هذا الاستقلال نمو كبير في حجم الأسطول التجاري الأمريكي ، وتزايد ملحوظ في تجارتها الخارجية . وكان البحر المتوسط من أهم ميادين ذلك الأسطول وتلك التجارة . ولكن التوسع المضطرد للتجارة الخارجية الأمريكية واجه صعوبات جمة من قبل الأساطيل الحربية الليبية والجزائرية ، التي أجبرت الولايات المتحدة على دفع الاتاوات والضرائب لحكومتي طرابلس والجزائر مقابل السماح للسفن الأمريكية التجارية بالإبحار آمنة في مياه البحر المتوسط .

ولقد جعلت هذه الصعوبات حكومة الولايات المتحدة توجه جانبا كبيرا من نشاطها الدبلوماسي والعسكري لهذه المنطقة، فأقامت العلاقات الدبلوماسية مع كافة دول المغرب العربي ، وافتتحت العديد من القنصليات في مدن تلك الدول، وأرسلت جزءا كبيراً من أسطولها الحربي للبحر المتوسط ، ذلك الأسطول الذي لم ينشأ في الأصل ، إلا لمحاولة الوقوف في وجه أساطيل دول المغرب العربي[١٥] .

ولقد خلّف ذلك الاهتمام والنشاط كماً هائلا من الوثائق والكتابات والمراسلات التي تلقى ضوءاً كبيرا على جوانب عديدة من تاريخ المنطقة . فرغبة أصحاب الشأن في واشنطن في معرفة ما يجري في المنطقة ، جعلت قناصلها في مدن الجزائر وطرابلس وطنجة وغيرها ، يرسلون سيلا لا ينقطع من المعلومات عما يجري في المنطقة ، وتقويما مستمرا للكثير من جوانب النشاط فيها .

وهذا البحث استعراض مختصر ومحدد لبعض ما تحتويه دور الوثائق الأمريكية من مصادر قد تثير

اهتمام بعض الباحثين في تاريخ المغرب العربي الحديث . أقول مختصرا لأن أي محاولة لوصف شامل ومسهب لهذه الوثائق تحتاج إلى أضعاف الجهد الذي بذلته في هذا البحث . فالمصادر متنوعة وكثيرة ، وتنتشر في العديد من المكتبات ودور الوثائق العامة والخاصة . وكل ما أرجوه في هذا البحث هو ـ كما قلت ـ لفت الانتباه لتلك المصادر ، تاركا للمستقبل أمر محاولة حصرها وتوصيفها . أما القول بأن البحث محدد فيعود لكون الوثائق الأمريكية تغطي فترة كبيرة من تاريخ المنطقة ، ولكن بصورة غير متوازنة . فعلى سبيل المثال : بينما توجد العديد من الوثائق المتعلقة بدول المغرب العربي في العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر نجد ندرة في الوثائق المتعلقة بالفترة اللاحقة لهذه العقود . ولقد وجدت من الأفضل حصر جهدي ضمن فترة زمنية واحدة من هذه الفترات الغنية ، لذلك ركزت في هذا البحث على الوثائق التي تتعلق بتاريخ الجزائر في بداية القرن التاسع عشر . وقد حاولت من خلال ذلك التركيز إعطاء القارىء صورة واضحة عن إمكانيات تلك المصادر ، عن طريق تحديد بعض مجموعات الوثائق المهمة وتقويمها أو وصفها وصفا مختصرا ، ثم تعيين أماكن وجودها .

طبيعة المصادر الأمريكية

تتميز المصادر الأمريكية ، التي تتناول المغرب العربي والجزائر ، بالتنوع ، وتفاوت الأهمية ، والانتشار الجغرافي الواسع . فهي من حيث النوع تحتوي على العديد من الوثائق المختلفة كالمراسلات والمكاتبات الرسمية ، والتقارير الحكومية ، والمذكرات المتبادلة بين فروع الإدارات الحكومية المختلفة ، والسجلات اليومية «Journals» العائدة للقنصليات الأمريكية العديدة المنتشرة في شمال أفريقيا ، وكتب يوميات السفن الحربية والتجارية «Ships log books» التي كانت تمخر عباب البحر المتوسط ، والتي كانت تتردد على موانىء المغرب المختلفة . ثم هناك المذكرات العديدة ، المطبوعة أوالمخطوطة ، والأوراق الخاصة التي خلّفها بعض الأشخاص أو المؤسسات الخاصة التي كانت لها علاقة ما بشمال افريقيا . وأخيرا وليس آخراً المطبوعات العديدة التي أصدرتها الحكومة الأمريكية عن شمال افريقيا لسبب أو لآخر منذ بداية علاقتها بالمنطقة وحتى الآن .

ومن ناحية تفاوت الأهمية نجد أن فائدة هذه المصادر تتراوح حسب نوعية المصدر وتخصص الباحث . فبينما يجد الباحث في التاريخ الاقتصادي الكثير من المعلومات في مصادر الشركات التجارية ، قد لا تفيد هذه المصادر كثيرا في مجال التاريخ السياسي ، بينما تعطي الوثائق الرسمية العديد من المعلومات المهمة وغير المعروفة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مناطق شمال افريقيا ، نجد المطبوعات غير الرسمية عن المنطقة لا تضيف شيئا يذكر في هذا المجال . أما من ناحية الانتشار ، فعلى الرغم من أن غالبية المصادر التي سنذكرها في هذا البحث تتواجد في منطقة العاصمة الأمريكية ، فإن هنالك العديد من المصادر الأصلية أو صور عنها منتشرة في طول البلاد وعرضها . ولكن هذا البحث كما أسلفت سوف يهتم أساسا بما هو موجود في العاصمة الأمريكية واشنطن والمناطق القريبة منها .

ولتسهيل استعراض المصادر سوف أقوم بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام وفقا لطبيعة الوثائق :

القسم الأول : ويضم المصادر الرسمية ويشتمل على :
أ ـ السجلات والوثائق المحفوظة في دور الوثائق والمحفوظات الرسمية .
ب ـ المطبوعات الرسمية التي أصدرتها حكومة الولايات المتحدة عن دول المغرب العربي أو علاقاتها بتلك الدول .

القسم الثاني : ويضم المصادر شبه الرسمية ويشتمل على :
أ ـ المراسلات والأوراق الخاصة ببعض الشخصيات الأمريكية الهامة ، والتي كان لها بعض العلاقات لسبب أو لآخر بالمنطقة .
ب ـ الأوراق والسجلات الخاصة ببعض الشركات والسفن التجارية الضالعة في تجارة المنطقة .

القسم الثالث : ويضم المصادر غير الرسمية ويشتمل على :
أ ـ كتب الرحلات التي ألفها أشخاص قاموا بزيارة المنطقة ، أو أقاموا بها لفترة طويلة أو قصيرة .
ب ـ المذكرات الخاصة التي كتبها بعض من كانت لهم علاقة بالمنطقة .
جـ ـ الأوراق الخاصة ببعض التجار الضالعين في تجارة المنطقة .

والواقع أن هذا التقسيم ، على الرغم من انه وضع استنادا على نوعية الوثائق، فإنه ينطبق أيضا على حجم وأهمية هذه الوثائق . فالقسم الأول هو أكبر الأقسام حجما من حيث كمية الوثائق ، وأكثرها أهمية كذلك . ولن يجد الباحث في هذا القسم أية صعوبة تذكر في الاطلاع على معظم ما فيه . إذ أن غالبية وثائقه موجودة في دور ضخمة للوثائق مفتوحة لكل الدارسين الجادين . أما القسم الثاني فهو أقل هذه الاقسام أهمية ، أما الثالث فهو وسط بين القسمين الآخرين .

مصادر تاريخ الجزائر

أولا : المصادر الرسمية

ويضم هذا القسم أهم المصادر الأمريكية وأوفرها وأغناها بالمعلومات عن شمال افريقيا وعلاقاتها الخارجية .

ويمكن تقسيم هذا النوع من المصادر إلى قسمين :

(أ) الوثائق الرسمية المحفوظة بدور الوثائق .
(ب) منشورات ومطبوعات الحكومة الأمريكية . وفيما يلي عرض سريع لأهم ما يحتويه هذان القسمان من مواد :

أ ـ الوثائق الرسمية المحفوظة في دور الوثائق : وهذه المجموعة هي بلا شك أغزر المصادر الأمريكية حول تاريخ شمال افريقيا ، وأكثرها فائدة ومردودا للباحث . ومما يسهل استعمالها ، ويزيد في القدرة على الاستفادة منها ، كون معظمها موجود في مكان واحد ، هو دار الوثائق القومية في واشنطن العاصمة[١٦] . ولقد تم تصوير جزء كبير من هذه الوثائق على شرائط المايكروفيلم ، وتوجد نسخ لهذه الشرائط في العديد من المكتبات الرئيسية الأمريكية ودور الوثائق الاقليمية ومكتبات الجامعات ، بل ان من الممكن شراء العديد من هذه الشرائط بأسعار معقولة . وفيما يلي سوف نتطرق إلى قسمين من هذه الوثائق هما الوثائق العائدة لسلاح البحرية الأمريكية ، والوثائق العائدة لوزارة الخارجية الأمريكية . حيث أن الأغلبية الساحقة للوثائق الأمريكية الرسمية المتعلقة بالنصف الأول من القرن التاسع عشر توجد في أحد هذين القسمين .

وثائق البحرية الأمريكية

تحتوي هذه الوثائق على مجموعة واسعة من المراسلات والتقارير والملاحظات والخرائط والاحصائيات ويوميات السفن التجارية والحربية . وهي في مجموعها مصدر غني بالمعلومات عن المنطقة في الفترة التي يهتم بها هذا البحث وما يليها ، ولكننا سنقتصر في استعراضنا التالي على الوثائق المتعلقة بالفترة ١٧٩٨ ـ ١٨٥٠ م . وتتوزع هذه الوثائق على مجموعات تحمل كلا منها اسم «Record Group » أو اختصاراً RG . وتعود كل مجموعة إلى دائرة من دوائر البحرية . وفيما يلي استعراض لأهم هذه المجموعات ووصف مختصر لمحتوياتها .

١ ـ سجلات دائرة الأفراد[١٧] . وهي الدائرة المسئولة عن تعيين وتجنيد الأفراد والضباط وتعليمهم وتدريبهم ثم توزيعهم على وظائفهم المختلفة . وتحتوي سجلاتها على خليط متنوع من الوثائق والرسائل أهمها فيما يخص موضوعنا : يوميات سفن ومحطات البحرية للفترة ١٨٠١ إلى ١٩٤٦م[١٨] . وهي مجموعة هائلة يضمها أكثر من ٧٠ ألف مجلد تم تصويرها على ثمانية الآف قدم من أشرطة المايكروفيلم ، ويوميات السفن هذه مصدر طريف من نوعه وذو فائدة كبيرة للباحث خصوصا تلك المكتوبة في الفترة التي تهمنا . فلقد كانت تلك اليوميات في ذلك الوقت سجلات موسوعية يسجل فيها ضباط السفن يوميا نشاط السفينة وما حدث على سطحها إلى جانب ملاحظات عن حركات السفن ، وحالة الجو ، والعمليات الحربية التي قامت بها السفينة ، والمراسلات الصادرة والواردة . كما تحتوي على قدر كبير من المعلومات والأخبار والملاحظات عن المناطق التي توجد بها السفن والمحطات التي تمرّ بها . وللاستفادة من هذا المصدر يجب أولا تحديد الفترة الزمنية والمكان المرغوب جمع المعلومات عنه ، ثم تحديد السفن المتواجدة هناك . فعلى سبيل المثال للتعرف على الوضع في الجزائر في بداية القرن التاسع عشر يتم الاطلاع على يوميات السفن الحربية Hornet, Constellation, Constitution و Essex وهي سفن حربية أمريكية كانت تتواجد في مياه الجزائر في الفترة ١٨٠٠ م إلى ١٨٠٥ م ، وقام بعضها بالمشاركة في بعض العمليات الحربية هناك .

٢ ـ مجموعة وثائق مكتب السجلات البحرية ، ومكتبة الأسطول[١٩] ، والمكتب جزء من تنظيم أكبر يضم دائرة استخبارات البحرية ، ومكتب التاريخ البحري ، وتضم سجلاته مجموعة منتقاة من الوثائق ذات أهمية خاصة ، إمّا لصفتها التاريخية ، أو لما تحتويه من معلومات . ونجد ضمن هذه السجلات :

أ ـ مجموعة الرسائل الصادرة[٢٠] ، وتضم أكثر من مائة ملف من الرسائل الصادرة من وزير البحرية إلى قادة السفن والأساطيل الأمريكية في مختلف أنحاء العالم . ومن ضمن هذه الملفات خمسة تحمل ختما سريا عليها ، ولكنها الآن مفتوحة لبحث المؤرخين .

ب ـ مجموعة الرسائل الواردة من قادة الوحدات البحرية[٢١] ، وتحتوي على الرسائل والتقارير بما فيها تقارير الاستخبارات الواردة من قادة الوحدات الحربية في البحر المتوسط إلى مكتب البحرية في واشنطن .

جـ ـ مجموعة الرسائل الواردة من قباطنة السفن[٢٢] ، وهي شبيهة بالسابقة مع اختلاف الجهة المرسلة ، وزيادة في تفاصيل المعلومات .

د ـ سجلات يومية ، يوميات ومذكرات ضباط البحرية الأمريكية [٢٣] . وغالبية الوثائق الموجودة في هذه الفئة عبارة عن سجلات شخصية قام بكتابتها أفراد من البحرية أثناء وجودهم على ظهر مراكبهم . ولكن على الرغم من هذا الطابع الشخصي لهذه الوثائق ، فإنها تحتوي على العديد من المعلومات والملاحظات ، والتعليق على الأحداث التي عاشها الأفراد ووحداتهم الملتحقين بها ، والأماكن التي زاروها أو مروا بها أو حاربوا فيها . إذ أن العديد من هذه السجلات تعود لأفراد شاركوا مشاركة فعلية في الأعمال الحربية ضد بلد أو آخر من بلدان شمال افريقيا .

سجلات وزارة الخارجية الأمريكية

وتضم هذه السجلات كافة الوثائق والمراسلات والصور والخرائط والتقارير والبحوث العائدة لوزارة الخارجية الأمريكية ومبعوثيها وقنصلياتها وسفاراتها في الخارج . وهي أهم المصادر الأمريكية عن شمال افريقيا على الإطلاق . وهي مقسمة إلى مجاميع عديدة أهمها بالنسبة للفترة ١٨٠٠ ـ ١٨٥٠ ثلاث مجموعات هي : إرساليات القنصليات الأمريكية إلى واشنطن ، وأوراق البعثات الأمريكية في الخارج ، وتعليمات وزارة الخارجية في واشنطن إلى مبعوثيها في الخارج . وفيما يلي وصف مقتضب لمحتويات هذه المجموعات .

١ ـ **إرساليات القنصليات**[٢٤] : وتحتوي هذه المجموعة على أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلد ، مقسمة حسب المنشأ ، أي القنصلية المرسلة ، ومرتبة بعد ذلك وفقا للتسلسل التاريخي . وتضم هذه الإرساليات كافة الرسائل والتقارير والمذكرات التي بعث بها قناصل

أمريكا في المدن المختلفة إلى واشنطن . وتغطي هذه الإرساليات ، إلى جانب القضايا التي تهم تسيير أعمال القنصلية ، جوانب عديدة في غاية الأهمية للمؤرخ . فهي تحتوي في معظم الأحيان على أخبار وتحليلات للوضع السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي السائد ، وعلى كل المعلومات التي يستطيع القنصل الحصول عليها من أي مصدر كان . فلقد كانت التعليمات الموجهة إلى القناصل ، تطلب منهم أن يقوموا بجمع أكبر قدر من المعلومات عن مختلف أوجه النشاط في البلدان الموجودين فيها ، بما في ذلك أيّة معلومات عن الزراعة والصناعة والسكان والاختراعات والاكتشافات والملاحة . ويكفي الاطلاع على فروع التقسيمات لنظام خزن المعلومات الواردة من القناصل للحصول على فكرة عن مدى اتساع وشمولية تلك المعلومات . ومنذ فترة مبكرة انتشرت قنصليات الولايات المتحدة في معظم أنحاء المغرب العربي . فلقد كان لها قنصليات في كل من مدينة الجزائر ، وطنجة ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، ومراكش وغيرها من المدن . والقراءة في إرساليات هذه المدن كالتنقيب في منجم للذهب . فالإرساليات وخصوصا التقارير السنوية لم تكن تترك شاردة أو واردة إلا وذكرتها .

٢ ـ سجلات القنصليات[٢٥] : وتحتوي هذه المجموعة على وثائق متنوعة ، كالمراسلات والتقارير والعقود والايصالات ، وأنواع عديدة من الوثائق التي تتراكم خلال تأدية القنصلية لأعمالها العلنية أو السرية . وبعض هذه الوثائق تلقي الضوء على جانب معين من الجوانب التاريخية . فالمراسلات بين القناصل والحكام المحليين ، تلقي أضواء عديدة على التاريخ المحلي للمنطقة التي توجد فيها القنصلية . ففي مسح قمت به لمراسلات قناصل الولايات المتحدة في طنجة ، خلال القرن التاسع عشر مع حكام المدينة وممثلي السلطات ، تبيّن أن نفوذ الولايات المتحدة والدول الأجنبية الأخرى السياسي والاقتصادي في المغرب كان في تزايد مستمر . ويتضح ذلك من ازدياد عدد الأفراد الأجانب الممارسين لمختلف أنواع النشاط الاقتصادي هناك ، ومن قدرة القنصل المتزايدة على تسيير الأمور ، وحل الخلافات بصورة تتناسب ومصالح هؤلاء ، وبالمقابل نجد قدرة حاكم المدينة على فرض سيطرته على هؤلاء ، أو تنظيم نشاطهم ، تتناقص باستمرار[٢٦] . وتحتوي هذه المجموعة من الوثائق أيضا على ما يسمى بيوميات القنصلية «Counseler Journal» وهي سجل يومي يكتب فيه القناصل تفاصيل عديدة عن الأحداث والأخبار ، وما يقوم به أفراد القنصلية من أعمال . وتلقي المعلومات الواردة في هذه اليوميات في أحيان كثيرة ضوءا جديدا على الأحداث ، بحيث يجعلها تتناقض مع الروايات الرسمية . فمن فحصنا لسجلات القنصلية الأمريكية في الجزائر قبيل الاحتلال ، يتضح لنا أن الحصار الفرنسي للمدينة لم يكن فعالا بما فيه الكفاية ، إذ تسجل هذه السجلات حركة العديد من السفن من وإلى ميناء الجزائر ، بما فيها وصول بعثة برئاسة خليل افندي من اسطنبول في اكتوبر ١٨٢٩ م ، وذلك لمحاولة التوسط بين الجزائر وفرنسا . كما تبيّن لنا من هذه السجلات أن الولايات المتحدة ـ رغم موقفها المعارض للنشاط البحري الجزائري ـ كانت وباستمرار تمنح جوازات رسمية للسفن الجزائرية . وهي جوازات كان الغرض منها منع المراكب الأمريكية المسلحة ، أو أي مراكب أخرى لها علاقة طيبة بالولايات المتحدة من التعرض للسفن الحاملة لذلك الجواز .[٢٧] .

وتحتوي السجلات كذلك على قائمة الهدايا التي كانت تقدمها الحكومة الأمريكية للجزائر عند تعيين قنصل جديد في الجزائر . وعن طريق دراسة هذه القوائم نستطيع الاستدلال على أهم الشخصيات والوظائف الرسمية في الحكومة ، وتركيبها الهرمي ، والتغير الذي كان يعتري ذلك التركيب .

٣ ـ تعليمات الوزارة إلى القناصل[٢٨] ، وتحتوي على الرسائل الموجهة من واشنطن العاصمة إلى القناصل . ورغم قلة حجم هذه المجموعة بالمقارنة مع غيرها فإنها لا تقل عنها في الأهمية . إذ إلى جانب التعليمات المباشرة ، والتى تبيّن أهداف السياسة الأمريكية في المنطقة ، تحتوي هذه التعليمات على الكثير من المعلومات عن أحوال المنطقة ، والتي وصلت إلى وزارة الخارجية من مصادر أخرى ، وتقوم بنقلها إلى القنصل للاطلاع عليها .

ب ـ منشورات ومطبوعات الحكومة الأمريكية : ويضم هذا القسم كمية لا بأس بها من الوثائق المطبوعة أو المصورة ، والتي قامت الحكومة بنشرها ، كالمراسلات التي تمت بين أعضاء الحكومة أو بينهم وبين أشخاص آخرين ، والتي كان موضوعها الأساسي الوضع في شمال افريقيا ، وعلاقات دوله بالولايات المتحدة ، والمعاهدات المقترحة أو المعقودة مع تلك الدول ، ثم مجموعة من الدراسات والإحصائيات والتحاليل الخاصة بالعديد من النواحي الاقتصادية والسياسية . والطابع الغالب على معظم المنشورات الصادرة عن الحقبة التاريخية ، التي هي موضوع اهتمامنا ، تخص ـ بصورة مباشرة ـ العلاقات السياسية والعسكرية بين الولايات المتحدة والجزائر ، ومن هذا القبيل :

(١) المجموعة الصادرة عن مكتب الوثائق البحرية والمعنونة بـ «وثائق بحرية متعلقة بحروب الولايات المتحدة مع دول شمال افريقيا» [٢٩] . وتقع في ستة مجلدات ، وتضم كافة المعاهدات والمراسلات الدبلوماسية ، وتقارير رؤساء الدولة ، وأوراق حكومية مختلفة أخرى . وهي كلها مرتبة ترتيبا زمنياً لتعطي صورة واضحة لتاريخ العلاقات الأمريكية بدول الشمال الأفريقي ، وعلى وجه الخصوص العلاقات مع الحكومة الجزائرية خلال الفترة ١٧٨٥ ـ ١٨٠٧ م . كما تضم هذه المجموعة أيضا العديد من التقارير الهامة عن شئون النقل البحري والتجارة والعمليات العسكرية البحرية .

(٢) المجموعة المسماة : «الفصل الأول من أوراق الحكومة الأمريكية العائدة للكونغرس ـ العلاقات الخارجية»[٣٠] وتحتوي هذه المجموعة العديد من الوثائق المختلفة الأهمية والتي تدور حول علاقات الولايات المتحدة بتلك المنطقة أو شئون دولها الداخلية . فهي تحوي ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تقريرا طويلا بعث به توماس جيفرسون رئيس الولايات المتحدة إلى الكونغرس يصف فيه علاقات بلاده بدول شمال افريقيا[٣١] ، وتقارير لجورج واشنطن ووزير خارجيته عن وضع الأسرى الأمريكيين في مدينة الجزائر[٣٢] ، وتقرير لوزير الخارجية الأمريكية في ١٧٩١ م عن الوضع التجاري في حوض البحر المتوسط يعطي فيه الكثير من المعلومات عن التجارة الخارجية للجزائر في ذلك الوقت[٣٣] ، وغير ذلك من التقارير والرسائل .

(٣) المجموعة المسماة «الفصل السادس من أوراق الحكومة الأمريكية العائدة للكونغرس الأمريكي ـ الشؤون البحرية»[٣٤] والمجلد الأول من هذه المجموعة مخصص لوثائق لجنة الشؤون البحرية في الكونغرس . ولما كان إنشاء البحرية الأمريكية في نهاية القرن الثامن عشر لم يتم أصلا إلاّ بسبب التحدي الجزائري للولايات المتحدة ، فإن معظم مناقشات وتقارير هذه اللجنة كانت تدور حول وضع الجزائر وعلاقات الولايات المتحدة بها .

(٤) مجموعات الوثائق المطبوعة المسماة «معاهدات واتفاقيات وبروتوكولات وقوانين الولايات المتحدة»[٣٥] وهذه المجموعة تضم إلى جانب نصوص المعاهدات والاتفاقيات الثنائية ، معلومات عن المباحثات والرسائل المتبادلة ، إلى جانب الخرائط والمعلومات التوضيحية . وهي مصدر لا غنى عنه عند دراسة الجانب الحربي لعلاقات الجزائر مع الدول الغربية قبل الحملة الفرنسية .

وإلى جانب هذه الوثائق الرسمية المطبوعة والمنشورة ، أصدرت الحكومة الأمريكية العديد من الدراسات عن بعض جوانب الاقتصاد ، وشؤون الإدارة في بلدان المغرب . فهناك على سبيل المثال :

(٥) دراسة حول قوانين الميناء في البلاد الأجنبية صادرة في ١٨٩١ م ، وتصف قوانين الموانىء في شمال افريقيا[٣٦] .

(٦) كتاب حول التعريفات الجمركية المفروضة في موانىء افريقيا [٣٧] .

(٧) سلسلة أصدرها مكتب التصنيع ، تصف باختصار ، الأحوال التجارية في مختلف دول شمال افريقيا ، ثم حجم التجارة بين تلك الدول والولايات المتحدة في الفترة ١٨٢١ م ـ ١٨٩٩ م[٣٨] .

ثانيا : المصادر شبه الرسمية

وهذه المصادر تشتمل على المراسلات والأوراق الخاصة ببعض الشخصيات الأمريكية الهامة ، والتي كان لها بعض العلاقات بالمنطقة بصفة أو بأخرى . ورغم أن الكثير من هذه الأوراق والمراسلات لها علاقة مباشرة بوظائفهم الرسمية فإن العرف جرى في تلك الفترة على أن تعتبر الرسائل والأوراق الموجهة من وإلى كبار الموظفين ملكا خاصا بهم يأخذونه معهم بعد خروجهم من الوظيفة . ولكن في معظم الأحوال يتم التبرع بتلك الأوراق والرسائل إلى متحف أو مكتبة عامة بعد تقاعد الشخص ووفاته . ولقد تم طباعة ونشر الكثير من هذه الرسائل والأوراق .

إن أي بحث في أوراق ومراسلات رؤساء جمهورية ووزراء خارجية الولايات المتحدة في الفترة

بين ١٧٨٥ و ١٨٣٠ سيكشف عن الكثير من الرسائل المتعلقة بأوضاع الجزائر وعلاقات الولايات المتحدة معها . فالرسائل التي كتبها توماس جيفرسون مثلا أثناء وجوده في أوربا ، والموجودة الآن في مكتبة الكونغرس[٣٩] ، تحتوي على الكثير من المعلومات عما يجري بين البلدين . ونفس الشيء من الممكن أن يقال عن أوراق جيمس ماديسون ، وخصوصا ما كتب منها في الفترة ١٨٠١ إلى ١٨١٦[٤٠]

وأوراق جيمس مونرو للفترة بين ١٨١٢ و ١٨١٦[٤١] ، وفان بيرن [٤٢] ، وغيرهم من الشخصيات العامة التي كانت لها علاقة بالجزائر بحكم المناصب الرسمية لأصحابها .

ونجد كذلك ضمن هذه المجموعة مصدراً غنّياً بالمعلومات عن المنطقة ، هووثائق وأوراق دور التجارة البحرية القديمة ، المتواجدة في مدينة سالم بولاية ماسوشستس ، اذ أن نشاط هذه الدور كان وراء دخول حكومة الولايات المتحدة في علاقات دبلوماسية وحربية نشطة مع دول منطقة شمال افريقيا[٤٣] . وتحتوي مراسلات وأوراق سفن هذه الدور على الكثير من المعلومات المفيدة عن تجار واقتصاد المنطقة . ورغم أن هذه الأوراق تعتبر ملكا خاصا لمالكي تلك الدور فإن معظم الوثائق إن لم يكن كلها قد سمح للجمهور بالأطلاع عليها . بل لقد تم نشر العديد من تلك الأوراق وطبعها . ولعل أكثرها أهمية للباحث أوراق العديد من السفن التي كانت تمخر عباب البحر المتوسط في تلك الفترة ، ومذكرات بعض الضباط الذين كانوا على تلك السفن[٤٤] .

ثالثا : المصادر غير الرسمية

ونقصد بهذا النوع الكتابات والوثائق ، كالمذكرات وكتب الرحلات ، أو الرسائل العائدة لبعض الأفراد الذين كانت لهم علاقة ما بالجزائر أو بقية دول المغرب ، أوقاموا بزيارة المنطقة لقضاء بعض الأعمال الخاصة أو الرسمية ، أو أقاموا بتلك البلاد للتجارة ، أو كممثلين لبلادهم ، أوكأسرى إبان فترات العداء بين دول المغرب والولايات المتحدة . ولعل أشهر مصدر من هذا النوع هوكتاب وليام شالر المعروف « Sketches of Algiers » . (Shaler : 1826) . وشالر هذا دبلوماسي محترف ، على جانب كبير من الثقافة وسعة الاطلاع ، حادّ الذكاء قويّ الملاحظة ، أقام في مدينة الجزائر مدة طويلة من الزمن عندما كان ممثلا لبلاده في الجزائر في الفترة من ١٨١٦ م حتى ١٨٢٤ م[٤٥] . ولقد عاصر شالر ، وشارك مشاركة مباشرة في العديد من الأحداث الهامة في تاريخ الجزائر ، ودرس جوانب عديدة من جوانب الحياة فيها . وكان على اطلاع واسع على مجريات الأمور ، وقريبا من أصحاب السلطة . وبعد انتهاء خدمته في ١٨٢٥ م قام بنشر كتاب ضمنّه خلاصة ملاحظاته ودراساته عن الجزائر ، مع العديد من آرائه ، التي كان أهمها دعوته للقضاء على قوة الجزائر الحربية ، وتحويلها إلى مستعمرة أوربية .

وكتاب شالر كتاب قيّم لا غنى عنه لأي باحث في أحوال الجزائر قبيل الاحتلال ، إذ يتضمن كما تقول صفحة غلافه «بيانا عن جغرافية وسكان وحكومة ومداخيل وتجارة وزراعة وصناعة ومؤسسات وقبائل وعادات ولغات الجزائر وفيه على سبيل المثال أول محاولة معروفة لتقدير ميزانية حكومة أيالة الجزائر ، وطبيعة العلاقة بين حكومتها والباب العالي ، ووصف لجغرافية البلد ، ومسح تقديري

لإمكانياته الاقتصادية ، ومسح لا يخلو من الدقة لعناصر السكان المختلفة ، وسرد لتاريخ العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية وأمريكا في الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٨٢٥ . كما يشتمل الكتاب أيضا على عدد من الملاحق التي ضمت بعض المراسلات والوثائق الرسمية ، وقائمة بالموازين والمكاييل والعملات الجزائرية ، ثم قاموساً لبعض المفردات البربرية التي قام المؤلف بجمعها من مصادر شتى .

فالكتاب إذن موسوعة قيّمة عن أحوال الجزائر قبيل الاحتلال . ولا تكاد تخلو قائمة المصادر والمراجع في أي بحث تاريخي عن الجزائر ، في الفترة المذكورة ، من ذكره أو الاشارة إليه . وهذا ما حدا بالباحث الجزائري اسماعيل العربي لترجمته إلى العربية مؤخرا (شالر : ١٩٨٢) . وعمله هذا خدمة لا شك كبيرة لدارسي تاريخ الجزائر . فالكتاب سيسد حاجة ماسة بسبب ما يحتويه من معلومات رغم احتوائه على بعض العيوب التي قد يكون أهمها تحامل الكاتب الشديد على الجزائريين والحكومة العثمانية ، وبعض الأخطاء الشنيعة في المعلومات كتقديره لعدد سكان الجزائر سنة ١٨٢٥ بمليون نسمة والمتعارف عليه الآن أن عدد سكان الجزائر في ذلك الوقت ثلاثة ملايين نسمة (Yacono, 1950: 101 - 112) .

ولكن على الرغم من شهرة كتاب شالر التي قد تعود إلى شهرة وبلاغة وسعة نفوذ صاحبه[٤٦] ، ووفرة نسخ الكتاب وترجمته المبكرة إلى اللغة الفرنسية (Shaler:1830) ، فإن هنالك العديد من المصادر الأمريكية المشابهة لهذا الكتاب لا تقل عنه فائدة وغزارة في المعلومات ، والتي لم يتم استخدامها من قبل الباحثين . ونذكر منها على سبيل المثال الكتاب المعنون «تاريخ مختصر للجزائر مع نظرة مقتضبة لأسباب انقطاع العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة ، مضافا إلى ذلك ملحقا يحتوي على رسائل لعدد من الأسرى الأمريكيين »[٤٧] . وهو كتاب قيّم طبع طبعات عديدة يتطرق للعديد من جوانب العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة ، والصراع الحربي والتجاري بين القوى الأوروبية المختلفة وحكومات المغرب ، وتغير موازين القوى في بداية القرن التاسع عشر . ويحتوي على رسائل في غاية الأهمية والفائدة . ثم كتاب كليفلاند عن تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة وليبيا وبقية ولايات شمال افريقيا (Cleveland:1806) ، ويحتوي على قدر كبير من المعلومات عن الوضع السياسي الداخلي لتلك الولايات . وكتاب جرين هاو والذي وإن كان يهتم بصورة أساسية بالوضع في ليبيا إلاّ أنه يلقى الكثير من الضوء على الظروف الداخلية للجزائر (Greenhow:1835) ، ثم كتاب السيد نوح الذي كان قنصلا للولايات المتحدة في تونس (Noah:1819) وغير هؤلاء . وقد يكون أهم مصدر في هذه المجموعة ما كتبه اثنان من الأسرى الذين شاء حظهما أن يقعا بين أيدي رجال البحر الجزائريين ، الأولى امرأة من أصل بريطاني اسمها ماريا مارتن بقيت في الأسر لمدة ست سنوات . وقامت بعد اطلاق سراحها بوصف تجربتها في كتاب نشرته حال عودتها للولايات المتحدة . وكتابها هذا كتاب ممتع ، يعطي المؤرخ الكثير من المعلومات عن النواحي الاجتماعية للمجتمع الجزائري ، وتصف فيه بكثير من الدقة العديد من جوانب الحياة اليومية في البيت الجزائري في بداية القرن التاسع عشر . أما الثاني فهو جيمس كاثكارت الذي كان في الجزائر في المدة من ١٧٨٥ م وحتى ١٧٩٦ م . ولقد تقلب كاثكارت خلال تلك الفترة في العديد من الأحوال ، فقد كان أول قدومه للجزائر أسيرا في أيدي مجاهدي البحر ، حيث عرض للبيع في سوق النخاسة ، وهناك اشتراه الداي وأرسله الى قصره الخاص مع مجموعة أخرى من

العبيد البيض . ولكن ذكاء كاثكارت الحاد واتقانه للغة الإسبانية، ثم تعلمه للغتين التركية والعربية ، سرعان ما ساعداه على رفع قدره، واكتسابه لثروة لا بأس بها . وانتهى به الأمر أن اصبح أحد المترجمين المرموقين في بلاط الداى . وعندما تم عقد الصلح بين حكومة الولايات المتحدة والجزائر عند نهاية القرن الثامن عشر تم عتقه ، وقامت الحكومة الأمريكية بتعيينه قنصلا لها في تونس ومن ثم في ايطاليا واسبانيا . وخلال مدة اقامته في الجزائر كان يقوم بكتابة مذكرات يومية يسجل فيها ما جرى له من أحداث ، وما كان يشاهده حوله في تلك البيئة ، التي شاء له الحظ أن يكون جزءا منها . كما قام كاثكارت أيضا بالاحتفاظ بنسخ للعديد من المراسلات التي قام بتحريرها أو استلامها خلال فترة وجوده في شمال افريقيا ، سواء كانت الرسائل ذات صفة خاصة أورسمية . وتعتبر المذكرات والرسائل بحق كنزاً من المعلومات لا يقدر بثمن يلقي ضوءاً باهرا على جانب مهم من الجوانب المغفلة من تاريخ الجزائر هو علاقة ذلك البلد بأوربا والوضع الغريب للعبيد المسيحيين في تلك المنطقة .

ولقد قام كاثكارت بعد عودته إلى بلاده بالاعتماد على تلك المذكرات والرسائل لكتابة سيرة ذاتية أسماها الأسرى . ولقد قامت ابنته فيما بعد بمراجعة ونشر تلك السيرة (Cathcart:1899) . ولقد تم نشر جزء كبير من المذكرات الأصلية نفسها في إحدى الدوريات الأمريكية (Cathcart, 1954,vol. 6:303 - 436) أما الرسائل فهي الآن في حوزة مكتبة نيويورك العامة وهي مجموعة كبيرة تقرب من ٤٠٠ رسالة كتب معظمها عندما كان قنصلا للولايات المتحدة . وهي تحتوي على العديد من المعلومات عن كافة أقطار المغرب العربي[٤٨] . والحديث عن رسائل كاثكارت يقودنا إلى مجموعة أخرى من الرسائل الخاصة التي لا تقل أهمية عنها ، وأعني بذلك مجموعة أوراق ادوارد بريسبل الموجودة في مكتبة الكونجرس[٤٩] . والتي تحوي الكثير من الرسائل المتبادلة بين قناصل الولايات المتحدة في دول المغرب ورؤساء البحرية الأمريكية في البحر المتوسط ، ووكلاء حكام الجزائر وطرابلس وغيرهما .

هذه باختصار أهم ما تحتويه الاقسام الثلاثة الرئيسية للوثائق الأمريكية من وثائق ومصادر تتعلق بتاريخ الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر . وهي كما يتبين للقارىء ، تلقي دائرة من الضوء ، على قضايا تتجاوز مواضيع العلاقات الجزائرية الأمريكية إلى مواضيع اخرى ، أعم وأشمل . فالمصادر تحتوي على مادة وفيرة قد تساعد الباحث في مواضيع العلاقات بين الولايات المتحدة ودول المغرب العربي بصورة عامة ، والعلاقات السياسية والحربية والتجارية بين حكومة أيالة الجزائر والدول الأوروبية ، والنشاط البحري لتلك الأيالة ، كما ان من الممكن الاستفادة من هذه المصادر بشكل يجعلها تصبح رافدا مساعدا مهما للمصادر الأخرى ، العربية والتركية والفرنسية ، عند دراسة العديد من قضايا تاريخ الجزائر الحديث بصورة عامة : كالنشاط الاقتصادي للجزائر والجوانب المختلفة للتجارة الخارجية ، والتركيبة السياسية لحكومة الأيالة ، وأوضاع الرقيق ، والوضع السكاني لمدينة الجزائر وأحوالها الاجتماعية، إلى غير ذلك من قضايا تهم الباحث في تاريخ الجزائر قبل الغزو الفرنسي .

الهوامش

(١) قصبة الجزائر هي مركز مدينة الجزائر . وكانت مقراً لحكومة الداى . وكان الداى علي خنجة قد نقل مركز الحكم إلى هناك من قصر الدايات خارج المدينة سنة ١٨١٧م . ولقد بقيت القصبة مقراً للحكم حتى احتلال المدينة سنة ١٨٣٠م .

(٢) لم تحفظ لنا الأيام من أوراق الحكومة العثمانية للجزائر سوى مجموعة من السجلات العربية والتركية ، تعود في معظمها إلى فترة متأخرة من عمر تلك الحكومة . ولقد عثر أحدهم على هذه السجلات بالصدفة . وعند انسحاب الفرنسيين من الجزائر أخذوها معهم ، ولكن تمت استعادتها ، وهي الآن موجودة في العاصمة الجزائرية . ويوجد وصف وتصنيف جيد لهذه السجلات في : الدكتور عبد الجليل التميمي ، **موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر** (تونس ١٩٨٣) .

(٣) الزمالة هي المدينة المتنقلة التي أتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له . انظر بهذا الخصوص محمد بن عبد القادر الجزائري ، **تحفة الجزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر** ، ط . ٢ (بيروت ١٩٦٤)، ص ٤٢٨ - ٤٣١ . ولقد قدر المؤلف قيمة الكتب الموجودة في مكتبة الأمير بخمسة الآف ليرة .

(٤) لم يصلنا من وثائق أحمد باى إلا الشذر القليل ، وأهمها : المذكرة التي قام بنقلها عن لسانه أحد الضباط الفرنسيين أثناء وجوده في الأسر والمنشورة في :

M. Émerit, «Les mémoires d'Ahmed, dernier bey de Constantine». **Revue Africaine,** 1949, 1949,pp.65-125.

ولقد ترجمت هذه المذكرة ونشرت في :

محمد العربي الزبيري ، **مذكرات أحمد باى وحمدان خوجه وبوضربه** ،(الجزائر ١٩٨١). ص ٩ - ١٠٢ ، وبضعة رسائل هامة نشرها د. عبد الجليل التميمي في كتابة :

Abdeljelil Temimi, **Le Beylik de Constantine et Ahmad Bey (1830-1837).** (Tunis, 1978)

والذي تحتوي مقدمته على مسح جيد للوثائق العثمانية والفرنسية والإنجليزية المتعلقة بأحمد باى . كما نشرت رسالة لأحمد باى في

E.Biconet, «Une Lettre du Bey de Constantine en 1827. **Revue Africaine,** 1889. pp.172-181.

(٥) حول نهب مدينة قسنطينة انظر :

C.E.Sedillot, **Campagne de Constantine de 1937 avec planche explicative.** (Paris, 1838)

وهو لطبيب شارك في عملية الهجوم واحتلال المدينة .

(٦) يدور جدل حول ما إذا كان حمدان بن عثمان خوجة قد كتب كتاب المرآة بالعربية ثم تمت ترجمته للفرنسية أم أنه قام بإملاء الكتاب بالفرنسية رأسا ، انظر : الدكتور عبد الجليل التميمي ، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي - 1871 1816** (تونس ، . ١٩٦٤) ص 133-142 .

وتوجد للكتاب الآن ترجمتان إلى اللغة العربية الأولى . حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ، **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على ايالة الجزائر)** . عرّبة وقدّم له وعلق عليه وفهرسه الدكتور محمد بن عبد الكريم . (بيروت ، ١٩٧٢) . والثانية هي : حمدان عثمان خوجة الجزائري ، **المرآة** تقديم وتعريب وتحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري . (الجزائر ١٩٧٥) .

(٧) كان الزهار نقيبا للأشراف في مدينة الجزائر ، كما شغل عدة مناصب في حكومة الايالة . وعندما سقطت مدينة الجزائر بأيدي الفرنسين لجأ إلى مدينة قسنطينة ، وبقى فيها حتى سقوطها هي الأخرى بأيدي الفرنسين ، ومن ثم انضم إلى الأمير عبد القادر حتى هزيمة هذا الأخير . وبعد سنوات من السكن في مدينة فاس عاد إلى مدينة الجزائر حيث أمضى ما بقى من حياته يكتب تاريخا للجزائر . وبطريقة أو بأخرى حصل أحد الضباط الفرنسيين وهو المدعو لوسياني على الجزء المهم من كتابه وهو الذي يغطي الفترة من ١٨٣٠ م إلى ١٨٧٠ م . وليس لهذا الجزء أي أثر في الوقت الحاضر . وتحوم الشكوك حول كون المدعو لوسياني قد قام بإتلاف ما حصل عليه . أما الجزء الذي يغطي الفترة من ١٧٥٤ م وحتى ١٨٣٠ م فلقد احتفظ به أبناء الشريف الزهار ، وحصل عليه فيما بعد أحمد توفيق المدني ، والذي قام بنشره تحت عنوان : **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ١١٦٨ - ١٢٤٦ هـ ، ١٧٥٤ - ١٨٣٠ م** ، (الجزائر ، ١٩٧٤) .

(٨) على سبيل المثال المجموعة المسماة :

«Collection des Document inédits et d' études sur l' histoire de l' Algérie»

والتي تضم مراسلات الحكّام الفرنسيين العسكريين للجزائر ، ودراسات متنوعة عن مواضيع شتى تهم المتخصص في تاريخ بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر .

(٩) مثل P.Azan الذي كان جنرالا في الجيش الفرنسي و Esquer و Marçais و Yver الذين كانوا على صلة وثيقة بالإدارة الفرنسية في الجزائر .

(١٠) مثل كتابات C.A.Julien و H.Isnard وحامد إسماعيل .

(١١) أهم تلك الكتابات :

A.Nouschi, «La crise économique de 1866 á 1869 dans le Constantionis : aspect démographique **Hespéris,** 1959, 105 - 123.

وأيضا :

A.Nouchi, **Enqvête sur le niveau de vie des population rurales constantionoises, de la conquête jusquén 1919 Essai d'histoire économique et sociale.** (Paris, 1961)

(١٢) والذي كتب في الفترة من ١٩٥٦ وحتى منتصف الستينات وجمع مقالاته في :

M.Lacheraf,L'**Algérie: nation et société.** (Paris, 1976).

(١٣) قد تكون أهم محاولة في هذا المجال هي كتاب بليفير :

Robert L. Playfair, **The Scourge of Cristendom, Annals of British Relations with Algeirs Prior to the French Conquest.** (London, 1884)

الذي أستغل فيه مؤلفه وثائق وزارة الخارجية البريطانية وأوراق القنصلية البريطانية في الجزائر .

(١٤) على سبيل المثال كتابه :

Abdjelil Temimi, **Le Beylik de Constantine et hadj Ahmed bey 1830 -1837.** (Tunis, 1978)

(١٥) حول بداية العلاقات بين الولايات المتحدة ودول شمال أفريقيا أنظر :

L.B.Wright and J.H.Macleod, **The First Americans in North AFrica.** (Princeton,1945)

(١٦) National Archives and Record Service, 8th Street and Pennsylvania Ave, N.W.Washington, D.C. 20408

وتفتح الدار أبوابها للجمهور من الأثنين حتى الجمعة ، من الساعة التاسعة صباحاً وحتى العاشرة ليلاً ، أما أيام السبت فيكون الدوام من التاسعة وحتى الخامسة بعد الظهر . والدار مجهزة بالعديد من القاعات وأجهزة قراءة ونسخ المايكروفيلم وتصوير الوثائق والكتب . وللاستفادة القصوى من هذه الدار يستحسن قراءة بعض ما كتب عنها ليصف محتوياتها ويساعد الباحث على التعرف على أهم ما فيها . وقد يكون أفضل كتاب للباحث في تاريخ شمال افريقيا هو :

Aloha South, **Guide to Federal Archives Relating to Africa.** (Waltham, Massachusetts, 1977).

(١٧) Record of the Bureau of Naval Personnel (RG 24).

(١٨) Logs of United States Naval Ships and Stations in (RG 24).

(١٩) Naval Records Collection of the office of Naval Records and Library (RG 45)

(٢٠) Letters to officers and confidential letters sent, in (RG 45)

(٢١) Letters from Commanders in (RG 45) .

(٢٢) Letters from Coptains in, (RG 45)

(٢٣) Logs, Journals, and Diaries of officers of the U.S. Navy at Sea, in (RG 45)

(٢٤) Despatches from Consular Offiers (RG 59)

(٢٥) Records of the Foreign Service posts of the Department of State (RG 84)

(٢٦) توجد هذه المراسلات في (RG 84) في الملفات 680,679, 678

(٢٧) توجد من بين هذه الجوازات مجموعة ممنوحة لمراكب تابعة للريس حميدو . ولا أستطيع الجزم عما إذا كان حميدو المذكور هو نفس البحار الجزائري الذائع الصيت الذي قتله الأمريكيون في معركة بحرية ضارية حين كان يقود سفينته المسماة البورتوغيز سنة ١٨١٥ م أم غيره .

(٢٨) Instruction to Diplomatic officers in Foreign Countries (RG 59)

(٢٩) U.S. Office of Naval Records and Library, **Naval Documents Related to the United States Wars with the Barbary Powers; Naval Operations Including Diplomatic Background**, 6 Vols, (Washingtion, 1939 - 44)

(٣٠) U.S. Congress, **American State Papers - Class 1. Foreign Relations,** 6 Vols. (washington, 1833-1859)

(٣١) U.S. Congress, **American State Papers - Class 1. Foreign relations,** Vol . 2. pp. 368-381

(٣٢) U.S. Congress, **American State Papers- Class 1. Foreign Relations,** Vol. 1. Foreign Relations, Vol. 1.pp. 100-1004.

(٣٣) U.S. Congress, **American State Papers- Class 1. Foreign Relations,** Vol.1. 104-104.

(٣٤) U.S. Congress , **American States Papers Class 6, Naval Affairs,** (Washington, 1834)

(٣٥) U.S. Treaties ect., **Treaties and Other-International Acts of the United States of America, edited by Hunter Miller,** 8 vols. (Washingtion, 1931-1948)

(٣٦) U.S. Bureau of Foreign Commerce, **Port Regulation in Foreign Countries.** (Washington, 1891) .

(٣٧) U.S. Bureau of Foreign Commerce, **Tarriffs of Foreign Countries , Part III. Asia , Africa, Australia , and Polynesia.** (Washington, 1899).

(٣٨) U.S. Bureau of Foreign Commerce, **Commercial Relations of the United States with Foreign Countries.** Vols 7. (washington, 1904 - 1910)

انظر كذلك :

U.S.Bureau of Statistics (Dept of Commerce and Labor), **Monthly Summary of Commerce and Finance of the United States ser. 1899 - 1900, Commercial Africa in 1899.** (Washington, 1899).

(٣٩) Thomas Jefferson Papers: Library of Congress. Washington D.C.

وتوجد هذه الرسائل مطبوعة في :

Thomas Jefferson, **Writings of Thomas Jefferson, ed. by Libsconb.** 20 Vols. (Washington D.C.1905)

(٤٠) James Madison Papers: Library of Congress, Washington D.C.

(٤١) James Monroe Papers. Library of Congress Washington D.C.

(٤٢) Martin Van Buren Paper: Library of Congress, Washingtion D.C.

(٤٣) حول هذا الموضوع أنظر :

Samuel Eliot Morison . **The Maritime History of Massachusettes, 1783 - 1860** (Boston 1961)

(٤٤) يوجد قسم كبير من هذه الوثائق في ثلاث مكتبات :

متحف بيبودي Peabody Museum of Salem

ومكتبة جامعة هارفاد ,Harvard University

ومكتبة بوسطن العامة The Boston Public Library

(٤٥) تمثل الفترة الجزائرية جانباً واحداً فقط من جوانب النشاط السياسي والدبلوماسي لشالر ، إذ أنه قضى فترة أخرى في أمريكا اللاتينية كممثل لبلاده هناك . وكانت له بهذا الصدد آراء هامة ساعدت على صياغة سياسة بلاده تجاه تلك المنطقة أنظر :

Herbert Priestly and M.M. Night, «William Shaler, Early Pan- American Scheme, text of William Shaler's Scheme, ed. by J.B.Lockey . **Pacific Historical Review** 2: 439 - 47 Dec. 1933 .

وانظر أيضا :

R.F.Nicholas, «William Shaler, New England Apostle of Rational Liberty». **New English Quarterly,** 9 71 - 95, March, 1936.

(٤٦) هنالك رد طريف على كتاب شالر قام بإصداره ضابط بريطاني في نفس السنة التي صدر فيها هذا الكتاب ، مما يدل على سرعة انتشار كتاب شالر وذيوع صيته واهتمام الناس به :

Sir Harry B. Neal, **A Reply to Erroneous Statments and Unwarranted Reflections on a Publication Entiteled Sketches of Algiers by William Shaler.** (Malta, 1826).

(٤٧) **AShort History of Algiers with a Concise View of the Origin of the Rupture Between Algiers and the United States, to wich is Added a Copious Appendix Containing Letters From Sundry American Captives .** Third ed. (N.Y. 1805).

ليس في الكتاب ذكر لمؤلفه أو مؤلفيه وإن كان من الواضح أنه من مصدر قريب الصِّلة بالحكومة الأمريكية .

(٤٨) انظـر : Correspondence of James Leander Cathcart. New York Public Library, 42 nd st. New York.

(٤٩) Edward Preble Papers: Library of Congress, Washington D.C.

المراجع العربية

التميمي ، عبد الجليل
- **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي** ١٨١٦ - ١٨٧١ ، تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٤م

- **موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر** ، تونس : منشورات المعهد الأعلى للتوثيق ١٩٨٣ م .

الجزائري ، حمدان بن عثمان خوجه
- **المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية على ايالة الجزائر)** ، عرّبة وقدّمه وعلّق عليه وفهرسه الدكتور محمد بن عبد الكريم ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٢ م .

- **المرآة** تقديم وتعريب وتحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري ، الجزائر ، ١٩٧٥ م .

الجزائري ، محمد بن عبد القادر
- **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر (جزءان)** .
بيروت : ط ٢ ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤ .

الحفناوي ، أبو القاسم
- **تعريف الخلق برجال السلف (جزءان)** الجزائر : مطبعة فونتا ١٩٠٧ - ١٩٠٩ م

دودو ، أبو العيد
- مذكرات سيمون بفايفر أو لمحة تاريخية عن الجزائر ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ م .
- الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان ١٨٣٠ - ١٨٥٥ م ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ م

الزبيري ، محمد العربي
مذكرات أحمد باي وحمدان خوجه وبو ضربه ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ م .

سعد الله ، أبو القاسم
تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (١٦ - ٢٠ م) جزءان ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ م

شالر ، وليام
مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (١٨١٦ - ١٨٢٤ م) ، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨٢ م .

المدني ، أحمد توفيق
- محمد عثمان باشا داي الجزائر ، الجزائر ، ١٩٣٧ م
- مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ١١٦٨ - ١٢٤٦ هـ ، ١٧٥٤ - ١٨٣٠ م . الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ م .

المراجع الأجنبية

Biconet, E. "Une Lettre du Bey de Constantine en 1827" **Revue Africaine.** 1889

Bono, Salvatore. **I Corosari Barbareschi.** (Turin, 1946).

Chathcart, J.L. **The Captives, Compiled by His Daughter, J. B. NewKirk.** Indiana, 1899.
- "The Diplomatic Journal and Letter Book of James Leander Chathcart, 1788 - 1797" **Proceeding of the American Antiquarean** Society. Oct. 1954.

Cleveland, Stephen. **History of the War Between the United States and Tripoli and other Barbary Powers, to which is prefixed a Geographical , Religious and Political History of the Barbary States in General.** Salem, 1806.

Collection des Documents inédits et d'etudes sur L'historie de lÁlgérie.

Émerit, M. "Les Mémoires d'Ahmed, dernier bey de Constantine" **Revue Africane.** 1949.

Fisher, Godfrey. **Barbary Legend: War, Trade and Piracy in North Africa. 1415 - 1830 .** Oxford : 1957

Greenhow , Robert. **History and Present Condition of Tripoli.** Richmond, 1835.

Jefferson, Thomas. **Writings of Thomas Jefferson ed. by Libscomb. 20 vols.** Washington D.C. 1905.

Lacheraf, M. **L'Algérie: nation et societe.** Paris, 1976.

Lacost, Y., Nouschi, A., Parenant, A. **L'Algérie passé et présent. La cadre et Les étapes de la Constitution de l'Algérie Actualle.** Paris, 1960.

Martin, Maria **History of the Captivity and Sufferings of Mrs. M. Martin, who was Six Years a Captive in Algiers.** Boston: 1807.

Morison, Samuel Eliot. **The Maritime History chusetts, 1783 - 1860.** Boston, 1961.

Neal, Sir Harry B. **A Reply to Erroneos Statement and Unwarranted Reflection on a Publication Entitled Sketches of Algiers by William Shaler.** Malta, 1826.

Nicholas, R.F. "William Shaler, New England Apostle of Rational Liberty" **New England Quarterly.** 9 : 71 - 96 , March, 1936.

Noah, M. **Travel in England, France, Spain and the Barbary States.** 1813 - 1815. N.Y. 1819.

Nouschi, A. **- Enquête sur Le niveau de vie des population rurales Constantionoises, de la conquête jusquè n 1919 essai d'histoure économique et sociale .** Paris, 1961.

- "La Crise économique de 1886 á 1869 dans le Constantionois : aspect demographie". **Hespéris,** 1959.

Pellissier de Reynaud — **Annales algériennes,** 3 vols, Paris, 1836 - 1839.

Playfair, Robert L. — **The Scourge of Christendom, Annals of British Relations with Algiers Prior to the French Conquest.** London, 1884.

Priestly, Herbert and Night, M.M. William Shaler, — Early Pan-American Scheme, Text of William Shaler's Scheme, ed. J.B. Lockey. **Pacific Historical Review.** 2: 439 - 47 , Dec. 1933

Sahli, N. — **Décoloniser L'Histoure Introduction a L'Histoire de Maghreb.** Paris, 1965.

Sedilot, C.E. — **Campagne de Constantine de 1837 avec Planche Explicative.** Paris, 1965.

Shaler, William — **Esquisse de l'etat d'Alger considére sous les rapports politique, historique et civil, traduit de l'Anglais et enrichi de notes par M . Bianchi.** Paris, 1830

- **Sketches of Algiers, Political, Historical and Civil.** Boston, 1826.

- **A Short History of Algiers with a Concise View of the Origin of the Rapture Between Algiers and United States, to which is added a copious Appendix Containing Letters from Sundray American Captives. Third** ed. N.Y. 1805

South , Aloha. — **Guide to Federal Archives Relating to Africa.** Waltham 1977.

Temimi, Abdjelil — **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830 - 1837 .** Tunis, 1978.

U.S. Bureau of Foreign Commerce. **Commercial Relations of the United States with Foreign Countries. Vol 7.** Washington, 1904 - 1910

U.S.Bureau of Foreign Commerce. **Port Regulation in Foreign Countries.** Washington: 1891.

U.S. Bureau of Foreign Commerce. **Tarriffs of Foreign Countries, Part III, Asia, Africa, Australia and Polynesia.** Washington, 1899.

U.S. Bureau of Statistics (Dept. of Commerce and Labor) **Monthly Summary of Commerce and Finance of the United States Ser, 1899 - 1900, Commercial Africa in 1899.** Washington, 1899.

U.S. Congress. — **American States Papers Class 1, Foreign Relations. 6 vols,** Washington, 1833 - 1839 .

U.S. Congress. — **American States Papers Class 6, Naval Affairs .** Washington , 1834

U.S. Office of Naval Records and Library, **Naval Documents Related to the United States Wars with the Barbary Powers; Naval Operations including Diplomatic Background, 6 vols.** Washington,1939 - 44.

U.S. Treaties ect . **Treaties and International Acts of the United States of America edited by Hunter Miller . 8 Vols,** Washington, 1931 - 1948.

Wright; L.B. and Macheod, J.H. — **The First Americans in North Africa.** Princeton, 1945

Yacono, X. — "Peut - on évaluer la Population de l'Algérie Vers. 1830" **Revue Africaine.** 1950.